جماليات أدب الطفل ،القصة نموذجا

The Aesthetics of Child literature. The Story as a case study

مليايني محمد

Meliani_med2006@yahoo.fr

جامعة تلمسان

الملخص بالعربية:

نظرا لأهمية أدب الأطفال عامة والقصة خاصة،من حيث هي جنس أدبي هام في نشر المعارف و زرع القيم وغرسها في أذهان الأطفال ليكونوا قدوة الغد الأمثل ، تسعى ورقتي البحثية الوقوف على جملة من القضايا تختص برصد جنس القصة الموجهة للطفل من حيث المفهوم والتشكل ، كما تعمد إلى الكشف **عن** تفاعل الأدباء والعوامل التي يجب توفرها لنجاح العملية التواصلية ونجاح القصة الطفلية في غرس القيم في نفوس الأطفال.

الكلمات المفتاحية : الجمال ، أدب الطفل، القصة، التفاعل، التشكّل، المفهوم.

الملخص باللغة الأجنبية :

Abstract

My paper, in fact, is an attempt to explore statistically the literary genres in respect to stories related to child literature. As an important literary genre in conveying knowledge and inserting values in children’s brains to be implicated for an idyllic future, the child literature in general and the story in particular, seek to clear up the interrelatedness and reasons behind the success of such kind of literature stressing the point on content and form.

Keywords : aesthetics- child- literature-story-structure-concept.

المقال:

تعد مرحلة الطفولة نبع الحياة المتـــــدفـــــــــــــق بالعطاء والنماء والمرتكز الفعلي لتحقيق الذات ، ولأن القراءة واحدة من السلوكات والممارسات التي تسعى دائما نحو هذا الفعل، فقد أدرك العلماء أهميتها لإشباع حاجات العقل و الروح معا و عمد الأدباء والشعراء إلى إيقاع الحيل لدعوة الأطفال إلى مأدبتهم و نشر ثقافة القراءة في أوساطهم لأن الكتب على رفوفها كائنـــــات خرساء تحتاج إلى من يحاورها، ولا غرابة أن يرتبط ذلك كله بأدب اصطلح على تسميته أدب الأطفال ، يعرفه أصحابه بأنه الأدب الموجه نحو فئة الطفولة والهدف من ورائه مساعدة هؤلاء على فهم العالم من حولهم و زرع روح الجمال لديهم كما يعده أصحابه، الوسيط المناسب في التفاعل الاجتماعي والمحقق الفعلي للوصال والمرسخ للعلاقات السليمة في الأوساط الأسرية والمدرسية والمجتمعية المبنية على أسس الاحترام والتعاون والوئام.

يميزه بعضهم عن أدب الكبار و يصيفونه بأنه " خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان خاصة للأطفال فيما بين الثانية و الثانية عشرة أو أكثر قليلا ، يعيشونه ويتفاعلون معه ، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه ، ويقوي تقديرهم للخير ومحبته،ويطلق العنان لخيالهم وطاقاتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان "[1].

تعد القصة من أكثر أجناس الأدبية إثارة وانتشارا وشيوعا بين الأطفال و أحد الروافد المهمة التي تهدف إلى " كشف مجموعة من القيم والمبادئ والاتجاهات،أو غرسها من طريق الكلمة المنثورة التي تتناول حادثة أو مجموعة من الحوادث التي تنتظم في إطار فني من التدرج والنماء، ويقوم بها شخصيات بشرية أو غير بشرية، تدور في إطار زمان ومكان محددين، مصوغة بأسلوب راق يتنوع بين السرد والحوار والوصف". يصفها الكاتب «سمر روحي الفيصل» بأنها "جنسٌ أدبي نثري قصصي، موجَّه إلى الطفل، ملائم لعالمه، يضمُّ حكاية شائقة، ليس لها موضوع محدَّد أو طول معيَّن، شخصياتها واضحة الأفعال، لغتها مستمدة من معجم الطفل، تطرح قيمة ضمنية، وتعبِّر عن مغزى ذي أساس تربوي، مستمد من علم نفس الطفل." [2]

إن الخطاب القصصي الموجه للطفل يحبل دائما بالعديد من الصور الموجودة في الحياة ويرتكز الأديب فيه على معطيات الراهن ويكتب فيه "كالطفل للأطفال" ويصبغه بصبغة الشعر ويوظف فيه آلية التخييل ويعتمد فيه على الرمز والعجيب و من ثم فإن اعتماد النص القصصي على هذه السمات يكسبه الديمومة و يطبعه بطابع الامتداد الزمني فيستفز الضمائر ويحركها ويجعلها شريكة في الصور و شريكة في التخييل ، مما يجعل المتلقي (الطفل هاهنا) مستشعرا لذة القراءة، مداعبا لمواطن الجمال، عاشقا، مشتهيا للوقوف على تجليات القصة الأسلوبية والمضمونية، منتجا للنص من جديد بشكل إفهامي على الأقل، مكتشفا لذاته عبر الكلمات ورونق حكيها وسلاسة تعابيرها، لأن بناء الإنسان متعلق بطفولته فلقد عد علماء التربية وعلم النفس هذه المرحلة واسطة العقد التي تزين الحياة و أجمعوا أيضا على أن الأسلوب القصصي من أفضل الدعائم التي تساعد على زرع مختلف القيم سواء كان ذلك قيما دينية أو أخلاقية أو تلقين قضايا علمية أو جوانب تاريخية ، يلعب فيها الأولياء والمدرسة والمجتمع جملة ، دورا بارزا من خلال استثمار الحكي والقص للوصول لهذا الطرح ، "يصف مكسيم غوركي في كتابه) طفولتي (تعلقه بجدته التي كانت

تحكي له حكاية فيقول" :أما أنا فكنتُ أخب في أعقابها وأدب النهار بطوله

متعلقاً بأثوابها، إن في الساحة أو الحديقة أو عند الجيران، حيث كانت تجلس

لبضع ساعاتٍ تحتسي الشاي، وتعيد سرد ما لديها من قصص وأخبار، وكنت أبدو وقتذاك، وكأني قطعةٌ منها، وأنا لا أذكر أحداً خلال تلك الفترة من

حياتي، اللهم إلا هذه العجوز الكدود اللطيفة "[3]

يذهب بياجيه إلى أن النمو الأخلاقي يتخذ مراحل متدرجة، تبدأ من الطفولة الباكرة، وحتى النضج، وأن إدراك الطفل لمعاني القيم والأخلاق، يرتبط – إلى حد كبير – بذكائه، وبالعوامل البيئية والثقافية من حوله، وأن تأثير الوالدين والكبار وجماعات الرفاق يعد عاملاً مهماً في غرس القيم الأخلاقية لدى الطفل، وهذا يعني أن الشعور الأخلاقي – كما يرى بياجيه – لا يولد مع الطفل، وإنما يتشكل نتيجة امتصاص الطفل للمعايير الأخلاقية والاجتماعية وتكيفه معها ؛ فهذا الشعور الأخلاقي يُعَدُّ – في بداية حياة الطفل – قوى رادعة يفرضها الأهل والكبار عليه ؛ فهو آتٍ إذن من الخارج، وقائم على مبدأ التهديد والعقاب [4]

و من شروط نجاح العملية التفاعلية بين المرسل والمرسل إليه ما يتعلق بالأديب نفسه المكتنز على مجموعة عوامل:

العامل الأول: <u>الميولات الثقافية</u> التي تعينه على استلهام الظواهر الخارجية وبلورتها إلى مفاهيم وقيم بما يتناسب ومقتضيات الحالة العقلية والنفسية و مراعاة الظرف الاجتماعي والثقافي للطفل إذ " ليس من السهل أن يمارس المبدع الكتابة للأطفال،لأن الكتابة للطفل تتطلب،فضلا عن تقنية الكتابة،الحس التربوي"[5] و الثقافي، فالكتابة للأطفال ليست بالمهمة الهينة كما يعتقد فصعوبتها تكمن في بساطتها فتخير اللفظ وانتقاء الأسلوب يشعر بالتوافق ويدعم التواصل ويكشف عن الرغبة والرضا ف" إذا كان الطفل عالما بلا ضفاف، فجائيا، له قابلية بلا حدود للدهشة، وقابلية بلا حدود للاندهاش، فإن تشكيل ثقافته إذن، سيتطلب مهارة لاعبي السيرك، وأناة علماء التربية وعلم النفس، ورهافة لغة الشعراء الكبار، وأيضا الكثير من الجنون الخارق وغير المعتاد"[6]

العامل الثاني <u>العمق الانفعالي</u> الذي يلعب دورا بارزا في إضفاء خصائص لغوية متميزة على الأثر فغياب هذا العامل يسقط النص في السطحية ويفقده الفعالية على التوصيل وتحريك عواطف الطفل وإثارته وتشويقه وتحريك نشاطه الفكري وإطلاق خياله. تحقق هذا العامل مقرون باتساع الرؤية وشموليتها على خبرات ومعارف سابقة تتلون بأفعال وعلاقات اجتماعية متنوعة ، تنم عن تجربة العالم العارف الذي يستطيع التأثير في الأطفال ليجدوا أنفسهم في مصيدة خريطة رسمها الأديب بعواطفه المتدفقة إنسانية ، فيزيد شعورهم كثافة وشدة، فيشعرون بالحزن مرة وبالفرح والسعادة مرة و ينجذبون إلى الخير و ينأون عن الشر من خلال التأثير فيهم بطرح مضامين هادفة تدفعهم دفعا إلى التأمل وتسمح بتغذية حاجاتهم النفسية وقدراتهم المعرفية وفق خطة ينهجها الأديب في كتاباته مراعيا فيها العمر، واختيار لغة تخاطب تناسب رصيدهم اللغوي التي تعتمد على" حسن التعبير والأداء والموسيقى اللفظية، وتنمية الذوق الجمالي الأدبي لدى الطفل، لأن مزاولة الاستماع للأدب الجميل ، والتمتع به يورث حب الجمال، ويسمو بالذوق الأدبي، كما أنه يؤدى إلى تنمية الثروة اللغوية للأطفال في الألفاظ والمعاني والأساليب والمفاهيم وتمكينهم من محاكاة ما يدرسون من الأدب بطريقة غير شعورية نتيجة لتأثرهم به."[7]

أما العامل الآخر فهو **التجربة الواقعية** التي تجعل القاص يتقمص مختلف الأدوار التي تؤديها الشخصيات داخل النص القصصي ويعبر عن مختلف التجار٠ ، بصدق بعيدا عن الكذب والضبابية لأن الطفل بطبعه يؤمن بكل ما يسرد له من وقائع وأحداث على ،ـها الحقيقة الأبدية وفي وقت نفسه كلما اتسعت التجربة كلما اتسع معها أفق انتظار الطفل لاستقبال الكثير من المعطيات التي تزخر بها القصة من متعة وتسلية وجوانب مضمونية تصب كلها في إطار ثقافة متصلة بالواقع. إن " أديب الأطفال وكاتبهم يجب أن يمتلك دهشتهم ويحيا عالمهم، ويحس إحساسهم تجاه الكون والحياة، وينظر بمنظارهم كي تكون كتاباته صادقة."[8] تأسيسا على هذا الطرح أصبحت القصة في حياة الأطفال رافدا مهما التي تبنى على أساسها عوالمهم انطلاقا من تقمص الأدوار ومصاحبة الشخصيات والرجوع في الزمان والمكان ف"الأطفال مغرمون بالقصة، شديدو التعلّق بها، فهم يصغون إليها، ويقرؤونها بشغف، يحلّقون في أجوائها، ويندمجون مع أبطالها، يتعايشون مع أفكارهم، ويتخطّون مع كل قصّة أبعاد الزمان، ويتجاوزون الحاضر إلى المستقبل، وقد ينتقلون إلى مختلف الأمكنة، متجاوزين الواقع.. إنهم منجذبون دائماً أمام حوادث القصّة، ووقائعها وشخصياتها، وهذا ما يمهد لهم الطواف على أجنحة الخيال، وارتياد عوالم لم يعرفوها من قبل"[9]

إن الخطاب القصصي يتوخى دائما تكريس المفهوم الإنساني للثقافة والمعرفة بوصفها مجموعة من القيم الأخلاقية والاجتماعية والجمالية التي ينبغي أن تصب في خدمة إنسانية الطفل و كماله، ولا إنسانية إلا إذا كانت هناك استجابة ذاتية لأثر الأشياء المبثوثة داخل النص القصصي "أما إذا جف هذا المجرى فان الشباك لا تجدي الصياد نفعا".

هوامش الدراسة :

1 - في أدب الأطفال، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط7، 1996م تأليف د. علي الحديدي ص 100- 101.

2 - سمر روحي الفيصل. الشكل الفني لقصة الطفل في سورية. مجلة الموقف الأدبي. العدد 208 - 209 - 210 دمشق اتحاد الكتاب العرب 1988. نقلا عن محمد قرانيا ، بدايات قصة الأطفال في سورية ، الموقف الأدبي، مجلة أدبية شهرية، تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق، العدد 414،ص 56

3 - غوركي، مكسيم) د.ت :(طفولتي، ترجمة نخبة من الأدباء، دار أسامة، دمشق -بيروت ، ص 88

4 - (غسان يعقوب، تطور الطفل عند بياجيه، بيروت، دار الكتاب اللبناني، 1982،ص 44 – 45.

5 - ورد في حوار مع الشاعر المغربي عبد الله راجع ،مجلة (السائرون على الدرب السنة1، عدد، 1مايو 1980، ص9

6 - عبد الجبار السحيمي ،هوامش حول الصحافة وتشكيل ثقافة الطفل ، مجلة الدراسات النفسية والتربوية، عدد 8 شتنبر 1999، ص119

7 - نجلاء محمد علي أحمد، أدب الأطفال قسم العلوم الأساسية ،كلية رياض الأطفال، جامعة الإسكندرية ،ص.4

8 - أنور عبد الحميد الموسى، أدب الأطفال فن المستقبل، لبنان، منشورات دار النهضة العربية، د.ط، 2010، ص .538

9 - نور الدين الهاشمي- عن مقالة معنونة بـ «مسرح الأطفال في حمص« نقلا عن عبد المجيد إبراهيم قاسم أدب الأطفال..

المفهوم.. الأسس.. وروّاده ، مجلة الرافد العدد 168،أغسطس 2011،ص 135 .